زَيْدٌ وَأَصْدِقَاؤُهُ الْمُلَوَّنُونَ: رِحْلَةٌ إِلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ

מאת רים חאג יחיא

كَانَ الْيَوْمُ هُوَ الْيَوْمَ الْأَخِيرَ لِزَيْدٍ فِي بُسْتَانِ الْعَصَافِيرِ. وَقَفَ زَيْدٌ أَمَامَ مُعَلِّمَتِهِ الْمَحْبُوبَةِ "لَيْلَى" لِيُوَدِّعَهَا. شَعَرَ بِبَعْضِ الضِّيقِ فِي صَدْرِهِ لِأَنَّهَا لَنْ تَكُونَ مَعَهُ فِي الْعَامِ الْقَادِمِ، لَكِنَّهُ ابْتَسَمَ وَهُوَ يَتَسَلَّمُ مِنْهَا شَهَادَةَ التَّخَرُّجِ الْمُلَوَّنَةَ.

عِنْدَمَا عَادَ زَيْدٌ إِلَى الْبَيْتِ، رَأَى حَقِيبَتَهُ الْجَدِيدَةَ ذَاتَ اللَّوْنِ الْأَزْرَقِ اللَّامِعِ. فَجْأَةً، قَفَزَتْ شَخْصِيَّةٌ صَغِيرَةٌ صَفْرَاءُ وَمُشْرِقَةٌ بِجَانِبِهِ! إِنَّهَا "بَهْجَةٌ". بَدَأَتْ "بَهْجَةٌ" تَرْقُصُ حَوْلَ الْحَقِيبَةِ وَهِيَ تَقُولُ: "انْظُرْ يَا زَيْدُ، لَقَدْ كَبِرْتَ! سَتُصْبِحُ تِلْمِيذًا فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ!"

فِي اللَّيْلِ، وَبَيْنَمَا كَانَ زَيْدٌ يَسْتَعِدُّ لِلنَّوْمِ، أَحَسَّ بِبُرُودَةٍ خَفِيفَةٍ. ظَهَرَ كَائِنٌ صَغِيرٌ أَزْرَقُ اللَّوْنِ يَرْتَجِفُ قَلِيلًا تَحْتَ الْوِسَادَةِ. كَانَ هَذَا "قَلَقٌ". هَمَسَ "قَلَقٌ" لِزَيْدٍ: "مَاذَا لَوْ كَانَ الصَّفُّ الْأَوَّلُ صَعْبًا؟ مَاذَا لَوْ لَمْ نَجِدْ أَصْدِقَاءَ جُدُدًا؟". شَعَرَ زَيْدٌ بِقَلْبِهِ يَخْفِقُ بِسُرْعَةٍ.

أَخْرَجَ زَيْدٌ صُورَةً قَدِيمَةً لَهُ مَعَ أَصْدِقَائِهِ فِي الْبُسْتَانِ. فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، ظَهَرَتْ "حَنِينٌ"، وَهِيَ شَخْصِيَّةٌ خَضْرَاءُ نَاعِمَةٌ وَهَادِئَةٌ كَاللِّحَافِ الدَّافِئِ. مَسَحَتْ "حَنِينٌ" عَلَى يَدِ زَيْدٍ وَقَالَتْ: "لَا بَأْسَ يَا زَيْدُ، مِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَشْتَاقَ لِأَيَّامِكَ الْجَمِيلَةِ وَلِأَصْدِقَائِكَ الصِّغَارِ".

وَبَيْنَمَا كَانَ زَيْدٌ يُقَلِّبُ صَفَحَاتِ دَفْتَرِهِ الْجَدِيدِ الْفَارِغِ، قَفَزَتْ "فُضُولٌ"، وَهِيَ شَخْصِيَّةٌ بَنَفْسَجِيَّةٌ ذَاتُ عَيْنَيْنِ وَاسِعَتَيْنِ. قَالَتْ "فُضُولٌ" وَهِيَ تُشِيرُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ مِنَ النَّافِذَةِ: "أَتَسَاءَلُ مَاذَا سَنَتَعَلَّمُ هُنَاكَ؟ هَلْ سَنَقْرَأُ قِصَصًا عَنِ الْفَضَاءِ؟ هَلْ سَنَحُلُّ أَلْغَازَ الْأَرْقَامِ؟"

دَخَلَتِ الْأُمُّ الْغُرْفَةَ وَوَجَدَتْ زَيْدًا صَامِتًا. جَلَسَ بِجَانِبِهَا وَقَالَ: "مَامَا، أَنَا أَشْعُرُ بِأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ. أَنَا سَعِيدٌ وَخَائِفٌ وَمُشْتَاقٌ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ!". ضَمَّتِ الْأُمُّ زَيْدًا بِحَنَانٍ وَقَالَتْ: "هَذَا أَمْرٌ رَائِعٌ يَا حَبِيبِي، هَذَا يَعْنِي أَنَّ قَلْبَكَ يَكْبُرُ".

تَابَعَتِ الْأُمُّ قَائِلَةً: "كُلُّ هَذِهِ الْمَشَاعِرِ الْمُلَوَّنَةِ هِيَ أَصْدِقَاؤُكَ. "بَهْجَةٌ" وَ"قَلَقٌ" وَ"حَنِينٌ" وَ"فُضُولٌ"، جَمِيعُهُمْ هُنَا لِيُسَاعِدُوكَ فِي مُغَامَرَتِكَ الْجَدِيدَةِ. لَا تُحَاوِلْ طَرْدَ أَحَدِهِمْ، بَلْ خُذْهُمْ جَمِيعًا مَعَكَ فِي حَقِيبَتِكَ".

أَشْرَقَتْ شَمْسُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَدْرَسَةِ. ارْتَعَدَ "قَلَقٌ" قَلِيلًا، لَكِنَّ "بَهْجَةَ" أَمْسَكَتْ بِيَدِهِ وَقَالَتْ: "هَيَّا بِنَا!". ارْتَدَى زَيْدٌ مَلَابِسَهُ الْجَدِيدَةَ وَحَمَلَ حَقِيبَتَهُ، وَشَعَرَ بِدَاخِلِ قَلْبِهِ بِمَزِيجٍ عَجِيبٍ مِنَ الْأَلْوَانِ وَالثِّقَةِ.

جَلَسَ زَيْدٌ فِي مَقْعَدِهِ وَفَتَحَ عُلْبَةَ أَلْوَانِهِ. كَانَتْ "فُضُولٌ" تَجْلِسُ بِجَانِبِهِ عَلَى الطَّاوِلَةِ، تَهْمِسُ لَهُ عَنِ الْأَصْدِقَاءِ الْجُدُدِ الَّذِينَ سَيَتَعَرَّفُ عَلَيْهِمْ. ابْتَسَمَ زَيْدٌ، وَعَرَفَ أَنَّ الصَّفَّ الْأَوَّلَ سَيَكُونُ مُغَامَرَةً رَائِعَةً مَلِيئَةً بِالْأَلْوَانِ.